

الباب السابع

في الارشاد

الارشاد من اهم ما يتوقف عليه ترقى الامة وحسن نشأتها في سائر الشؤون الدينية والادبية والمادية وهو العامل الاكبر للنهوض من هذا السقوط والانتباه من هذه الغفلة ولا يمكن ان يقوم به على اتم وجوهه غير العلماء الا ان هنا امرين مهين يجب التنبيه لهما . الاول ان امر الارشاد ليس بالامر الهين فكثيراً ما سمعنا من جاهل بالحق فلم يسمع منه ومن نصح فلم يفد نصحه الا عنادا ولم يستفد هو الا معاداة المنصوح فلا بد حينئذ من معرفة الطرق اللائقة المقبولة التي تأتي بنتيجة حسنة فقد سمعنا من اكثر العلماء الاعتذار عن ترك الارشاد بانه لا يفيد ولكن ما ذاك الا للجهل بطرقه اذ لا يكفي لارشاد تارك الصلاة ان يقال له صل او ترك الصلاة حرام او نحو ذلك . الثاني ان بعض الناس يظن ان موضوع الارشاد مقصور على نحو الصلاة والصوم وترك الغيبة والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ومنهم

من يظن ان موضوعه قاصر على التقدم في المدنية والعمران ومجاراة
الامم الغربية في الاختراع والاكتشاف واحياء الصناعة والتقدم
في شئون هذه الحياة مع ان امر الارشاد اعم من ذلك ويجب
ان يكون بحسب الدواعي والمقتضيات وهو كما يكون في الشؤنون
الدينية البحتة يكون في الشؤنون الادبية والمادية وسائر ما يرتبط
بصالح الامة في عاجلها وآجلها

ولا شك ان الكمال في الامر الاول وهو ما يتعلق بكيفية
الارشاد وطريقه يتبع سعة العقل وكمال الاخلاق وحسن التفرس
ويحتاج الى لوازم كثيرة سيأتي بيانها اما الكمال في الامر الثاني
وهو ما يتعلق بموضوع الارشاد فيتبع معرفه اسرار الدين
ومقاصده وتطبيق ذلك على الواقع بعد معرفة مواقع الضعف
وكامن الداء وذلك شيء شاق لا يمكن التوصل اليه بسهولة ومن
هنا ترى طلاب الاصلاح والعاملين على الارشاد في الامة
الاسلامية مختلفي المشارب متبايدي المرامي ومع ذلك فقد يكون
الكمال فوق ما يطلبون ويتصورون ويكون كل واحد ادركه من
وجه دون آخر وكثيراً ما ادى اختلافهم هذا الى ضد ما

يقصدون من حيث لا يقصدون ومن هنا كان التفاضل عن
الباطل احياناً خير وسيلة لنصرة الحق وبالجمله فهذا المعنى من
اسمى المعاني واعلاها وادقها واخفاها واجل ما يعتنى ببيانه وتحقيقه
وتحديده ولا اريد الآن الافاضه في تفصيله فذلك ان يكن
ففي كتاب آخر وانما اريد التنبيه على انه امر واجب يجب
الاهتمام به والتوجه نحوه ومتى توجهت اليه الافكار فلا بد ان
يلغ منتهاه من الكمال وقد يأتي بعض الناس بما لا يخطر لمثل
على بال وقبل النهايه اقترح جعل الارشاد علماً مستقلاً مدوناً
تبين فيه موضوعاته وطرقه وكيفياته ولوازمه الخ الخ والله
هو الهادي الي ما فيه الخير والرشاد
طرق الارشاد ولوازمه

علم مما تقدم وجوب الارشاد على العلماء ونشر العلم بين الناس
وحثهم على العمل به واخراجهم من ظلمات الجهالة الى نور العلم
وتحريرهم من رق الاوهام والآن نريد ان نبين شيئاً من
طرق الارشاد ولوازمه ونقول انه لا يكفي في القيام بواجب الارشاد
على الوجه المفيد مجرد معرفة احكام الفقه بل ولا هذه العلوم

المتداولة الآن جميعها الا نرى ان اكثر الحرام والواجب معروف لدى الناس ومع هذا فهم يخالفونه بل في الحقيقة العلم بمسائل مثل النحو والفقه والتوحيد شيء وسياسة الارشاد وعلومه شيء آخر لا يكون الا بكامل العقل وحسن الفطنة والحلم وسرعة الادراك ووجود التأثير والجاذبية واستعمال منتهى ما يمكن ان يصل اليه الفكر من الاساليب والحيل الشريفة التي تؤدي الى الغرض المقصود

صاحب سياسة الارشاد هو من يتمكن بسبب استعمال فكره في استنتاج وسائل الاصلاح واختراع اسباب الهداية من ان يجعل له سلطاناً على القلوب وتأثيراً في النفوس حتى تكاد ان تكون في رقه يوجهها كيف شاء واين شاء ومتى شاء

صاحب سياسة الارشاد هو الذي يكون مثله في الوصول الى اعظم الغايات النافعة المفيدة التي قد لا يخطر ببال الناس وصول احد اليها كمثل مخترع الوابور والتلغراف والفونوغراف والتليفون حيث وصلوا باستعمال عقولهم في التخيل والتفكير الى اعظم الغايات التي قدمت العالم ونفعته نفعاً لا يقدر وكانت من قبل

تعد في -يز المستحيل لا يصدق احد بإمكانها فضلاً عن حصولها
صاحب سياسة الارشاد هو الذي يقدر بقوة تأثيره على
تبدل العقائد (الفاسدة) وقلب العادات (القبيحة) وجعل المحبوب
مكروهاً والمكروه محبوباً وقد لا يحتاج في كل هذا لان يقول بالتصريح
ان هذا حسن وهذا قبيح بل تكفيه الاشارة والتلويح بكيفية
تدلي بطبيعتها الى هذه النتائج وتسوق العقول اليها

صاحب سياسة الارشاد هو الذي يتنازل من سماء علوه الى
مخالطة سائر طبقات العالم شريفها ووضيعها ومشاركتهم فيما هم
فيه بل واستحسانه مؤقتاً وان كان في ذاته قبيحاً . بينما تجده مع
اكبر كبير يتحادث ويتسامر وينتقل من موضوع الى موضوع ومن
اسلوب الى اسلوب اذا به مخالطاً لاحقر حقير يشاركه في حاله
وبساعده على عمله ويخاطبه بالخطاب المألوف عنده وفي الموضوع
المشتبه لديه وغايته من كل ذلك واحدة وهي التوصل لغرس
شجرة الهداية الى منتهى السعادة وتأجيج نار الشوق الى الكمال
الاسلامي في قلب مجالسه وكل افعاله واقواله انما يسوقها على وفق
مقتضيات الاحوال ودواعي الظروف ليتوصل بها الى مقصده الذي

يدعو اليه

صاحب سياسة الارشاد هو الذي لا تؤثر عليه العادات ولا يكون عنده غرور بفكره ولا ثقة شديدة بنفسه لا هو من المتهورين ولا اصحاب الجلود

صاحب سياسة الارشاد هو من ينظر في الامور نظر الخبير ويتدبر العواقب والمباني والغايات ويتقن التطبيق وادخال الجزئيات تحت الكليات وترجيح ما ينبغي ترجيحه من جهتي المصلحه والمفسدة في الشيء الواحد اذ كثر ما يكون الشيء في ظاهره من المفاصد والامور المنهيه ولكن يكون وراءه مصالح جمه تسوغه او تكون المفاصد التي تنشأ عن ابطاله اكثر منه وطالما يكونون الشيء بظاهره من المصالح والامور المطلوبة ولكن يكون وراءه او في حمل الناس عليه مفاصد لا تحصى وكثيراً ما يكون ظاهر الامر ادخال هذا الجزئي تحت القاعدة المبيحة ولكن عند التأمل يوجد من حاله او آثاره او ما يترتب عليه ما يدخله تحت القاعدة المهرمة والمكس اذ قواعد الشرع المختلفة تتوارد على الشيء الواحد باعتبارات شتى وقد بندر وجود ما لا نعتبر به الاحكام الخمسة. فعمل المرشد

البصير ان يدقق النظر في التطبيق والترجيح حتى يشير بفعل
او ترك اذ الى هذا المعنى كان يرجع اسم الفقه في صدر
الاسلام . فاذا رأى مثلاً من يخاف لحيته من موظفي الحكومة
ومعلوم ظاهر ان ذلك مذموم شرعاً فقد يكون اذا بدأه
بان من قواعد الدين ذم حلق اللحية وترك التعمم وعدم اسبال
المذبة وامره ان يعمل ذلك نفر منه نفوراً تاماً ووجد وحشة
كلية من قواعد الدين واحكامه وتمثلت عنده بهيئة الشيء الثقيل
والتكليف الشاق الذي لا يناسب الاذواق فضاع هو من يد المرشد
وضاع ما كان ينتظر منه من الاحوال والاعمال اذ ربما كانت
استقامته لو استقام كاسلام عمر في العود على الدين بالعز
والشرف وفي التسبب في استقامة الكثيرين وتأيد الدين الخ الخ

والكنه لو تغاضى عن ذلك اولاً . لابل قال له ما بهذا من
بأس على شرط ان تعرف ربك الذي انعم عليك بنعمة الوجود
ولو شاء لاعدمك وبنعمة العقل ولو شاء لجعلك مثل هوءلاء
المجانين وبهذا الرزق ولو شاء لجعلك كأفقر المسلمين وان تحبه
فان النفس مبالاة الى حب من احسن اليها وان تعمل ما طلبه

منك وهو لم يطلب منك الا ما فيه مصلحة لك وان خفيت عليك وان لا تشرب الخمر ففيه من المضار كذا وكذا وقد قال الحكميم فلان (والسيو كذا) في ذمه كيت وكيت وبين الاكتشاف الاخير انه يورث داء كذا وكذا الخ الخ الخ . لو فعل معه هكذا لاطاعه واستأنس به وانصت اليه ثم لا يزل معه على هذا المنوال حتى يأتي وقت يقبل فيه بكل ارتياح ذلك الفعل الذي لو امره بفعله اولاً لترك الشرع واهله بالمرة واستمر على اعراضه بل زاد فيه

وبالجملة فان الارشاد له طرق دقيقة ولوازم كثيرة ولا يكفي فيه مجرد العلم فكثيراً ما يعرف الانسان الحق ولكنه لا يدري كيف يحمل الناس عليه بل كثر ما يعرف الحق في امر ويريد ان يحمل عليه فيأتي بكيفية تورث من المفساد والمضار ما يفوق ترك ذلك الحق بمراتب ومع ذلك فلا يتمكن من اقناع الناس بوجوب التمسك به

ومن اهم هذه اللوازم حسن البصيرة في عاقبة الامر واتقان التطبيق والترجيح (على ما مر) والابتداء بالاهم والاسهل على

النفوس وعدم مفاجأة من ليس على مذهبه بنقط الخلاف . فان رأي شيعياً او معتزلاً لا يصلح فليتحجب اليه وايقوي معنى الرابطة الاصلية بينهما بقطع النظر عن نقط الخلاف وليرشده اولا الى وجوب الصلاة لا الى ان ابا بكر افضل من علي او ان الافعال مخلوقة لله لا للعبد فان الكلام في الثاني لا يفيد الا التنافر دون الاول ومع الابتداء بهذا الاول فقد يسهل الكلام في الثاني . وعدم المجاهرة بالمقصد دفعة بل قد يحتاج الى الاغضاء اولاً عن كثير من الامور المخالفة بل الى اظهار استحسان شيء منها على وجه مناسب . وحسن التفرس وعدم الغلظة والعناد ومخاطبة كل انسان بمثل المعهود لديه وبالاسلوب الذي يكون مؤثراً عنده والحلم والاناة والتواد والالفة والالمام بكثير من وقائع التاريخ واجادة التمثيل والتشبيه والتزيي بالزي الحسن والجرأة وعدم الانفة والاستحياء من الامر الذي لم يعتده ويرى انه سبيل الى الخير والاحاطة باسرار الدين ومقاصده في الاحكام وتقريب المنقول من المعقول وتجنب الاملال من اي موضوع والتشويق دائماً الى ما عنده بعدم الاندفاع في ابدائه دفعة واحدة ومعرفة تطبيق الآيات والاحاديث

على وقائع الظروف والاحوال والصبر والثبات والتحمل والبشر التام
ومدح المخاطب والثناء عليه وملاطفة الصغار ومسايرة الكبار الخ
الخ الخ والله هو الهادي الى سبيل الارشاد

مخالطة الناس

اذا كان العالم مسئولا عن غيره وعليه القيام بواجب
الارشاد والتعليم للناس فهذا بالطبع لا يتم الا بمخالطتهم على اختلاف
طبقاتهم خصوصاً والمخالطة سبب الميل والانس الموجب لقبول
ما يلقي اليهم من الارشاد النافع هذا فضلاً عن انه يعتبر من
اعظم الاسباب لانتشار العلم والفضيلة والاستقامة والكمال أما
اولاً فلان العالم اذا خالط الناس فقد تسعده الصدف بمعرفة
من يكون خير عضد له فيما هو بصدد وكثيراً ما يوجد في
الناس اقوام متحدون في المبادئ والمشارب راغبون في الكمال
والفضيلة ولكنهم متفرقون لا يعرف بعضهم بعضاً موجودون بين
اقوام على غير مبادئهم كل منهم يبحث عن مثله فلا يجد
فالمخالطة اعظم وسيلة لحصول كل على ضالته ووصوله الى بغيته

والتقائه بمن يطلبه ولا يجده وقد يكون في التقائهما ما لا يحصى
من المنافع والمصالح التي تعود على المجتمع الانساني بالخير
والكمال

واما ثانياً فلان في معرفة الطبقة العالية اكتساب نفوذ وتأثير
حسن لا يستغني عنه مرید الاصلاح فان الحق اليوم ما صدر عن
كبير وان كان في ذاته فاسداً ولست اذهب مذهب من لا يحبون
الاختلاط بالحكام واهل الطبقة العالية ولا من يذمون مصاحبة
السلطان نعم اقول انه لا بد ان يكون بقصد ارشادهم فان السعي
في هداية اولئك من اجل الاعمال وافيدها اذ الناس على دين
كبرائهم وملوكهم ولا يعلم الا الله مقدار ما ينجم عن مخالطتهم
بهذا القصد من الفوائد الكبرى سواء اهدوا واثروا فيهم الارشاد
ام لا فان تلك المخالطة في ذاتها تفيد في ارشاد غيرهم على
انه وان لزم ان تكون مخالطتهم بهذا المقصد فليس معنى ذلك
مفاجأتهم بما يكرهون بل ايجاد الفرص والمناسبات القوية والفعلية
واستعمال سائر ضروب السياسة في سبيل اقناعهم برفق
ولين

وكما ارى مخالطة الكبرياء فاني احتم مخالطة الضعفاء والطبقات
السافلة من الناس والتجنب اليهم ومشاركتهم في احوالهم فانهم
جمهور الامة وعم اقرب للامثال من غيرهم وخير اعمال البر ما
ترفع به السافل الى مرتبة العلو اذ هذا هو مقتضى العقل
وسنن التكوين

اما العزلة وعدم مخالطة الناس والاكتفاء بالاستقامة الشخصية
والعكوف على خروبه من العبادات كالصلاة والتسبيح وزيارة
الاولياء فصاحبها لا يسمى عالماً بل زاهداً اولى شيء به ان يذهب
الى شعاب الجبال ليعبد الله لا ان يتصدى لمقام العالمية ويجعل
نفسه من العلماء فان لكل حال رجاله الا ترى ان الاعمي
لا ينبغي ان يكون قاضياً وان كان في ذاته كاملاً ولذا الاخرس
او ضعيف الصوت لا ينبغي ان يكون خطيباً وان كان من خير
الاتقياء

هذا الحال حال العزلة وترك الاختلاط وان لم يناسب العلماء
ولم يجوز ان يكون منهم من يتصف به فهو حسن ومناسب
بالنسبة لفريق من الناس ولكن اسوأ الاحوال واشدها بؤساً

ما يفعله بعض العلماء اليوم من التزلف والتملق والتقرب من
 بعض الموظفين واهل النفوذ والجاه واحترامهم والتواضع اليهم
 بكيفية يجها الذوق السليم يفعلون ذلك لا لقصد التمكن من
 الارشاد بل حباً في الجاه والشهرة وقضاء بعض المصالح الدنيوية
 ومن العجب انهم مع ذلك بأنفون ويستكبرون على سائر الناس
 من امثالهم ومن هم دونهم ويتشاورون بانوفهم كأنهم ظنوا ان اين
 الجانب والمعاملة بالحسني مع غير الكبراء لا تليق بهم وهم آلهة
 النوع الانساني ولبس القوم وبس حالهم فان امثال هؤلاء لا قيمة
 لهم في الوجود وان كانوا يعدون عند الناس من كبراء العلماء
 كما انهم لا يعرفون قيمة العالمية التي علفت في اعناقهم كما يعلق الدر
 في جيد من لا يصلح له . ولعدم معرفتهم قيمتها تراهم . اولاً يتسابقون
 الى معرفة الذوات والخضوع لهم لاحراز الشرف والجاه بحسب زعمهم
 لانهم يرونهم اعظم منهم بمراحل وتراهم . ثانياً يحقرون ابناء جنسهم
 من العلماء لظنهم انهم صاروا اكبر منهم بسبب الانتماء الى الاكابر
 ومعرفة الذوات . واقبح ما يكون شغل امثال هؤلاء لبعض الوظائف
 فطالما رأينا من سادات العلماء الموظفين حتي الشاغلين للمراكز

السامية من اذا دخل عليه بعض العلماء او اهل العلم نظره
 بعين الاحتقار والتكبر كانه من عبيده او عبيد ابيه بل كانه المنعم
 عليه بنعمة الوجود وان اعطاه شيئاً من علامات الاحترام والتحية
 المعتادة فمع مزيد التكلف وشديد الاستثقال فاذا ما جاء زائر
 من غير ابناء جنسه قابله كما يقابل الصغير الكبير خصوصاً ان
 كان (من الاغنياء او لابسى الطرايش) فانه حينئذ يعطي له من
 الاحترام والاقبال ما يخرج عن حد الاعتدال وقد يشمئز منه
 الزائرون انفسهم فما اقبح واسوأ هذا الحال

ان اكثر العلماء اليوم لا يرضون مخالطة الطبقات المنحطة ظاهراً
 منهم ان هذا يشينهم او يحط من قدرهم وهو ظن فاسد مضر
 مؤخر بل يمثل هذا التنازل والتواضع والاختلاط ينبغي ان يكون
 التفاضل بين العلماء لا بالالوية والكبرياء والتعالي والا فمن
 الذي يتواضع ويتنازل ان لم يفعل العلماء ذلك ومن الذي
 يرشد تلك الطبقات ويقدمها ويرفعها اذا لم يقبل العلماء مخالطتها
 هل كتب عليها الذلة والمسكنة والجهالة والانحطاط الى الابد
 وهل العالم وجد لاجل ان يتعالى ويتغالى في علوه وكبره واعجابه

يعلمه موطنه انه فريق الناس ، وأعلى من ان يخالطهم ام لاجل
 ان يتواضع وينفع ويرشد الناس ويأخذ بأيدي الضعفاء . صلى الله
 وسلم على من كانت الجارية تأخذ بيده فتعلق حيث شاءت
 من جهات المدينة وما العلماء الا ورثة الانبياء . تالله لو تنازل
 العلماء وتركوا الفخفة والكبرياء وخالطوا ضعاف الناس لامكانهم
 ان يصلحوا من الاحوال ويرفقوا الشؤون ويكتسبوا المجددة
 والثواب الاعلى والرفعة الحقيقية . بهذا يكون الفخر . هذا هو
 عمل الرجال . هذا هو الذي ينبغي ان يكون موضوع التفاضل
 بين العلماء . هذا هو داعي الاحترام والرفعة والداد على المرأة
 والكمال . ولا ادري متى يعلم ساداتنا العلماء وخصوصاً كبرائهم ان
 الكمال اللائق بهم لا يكون بالتعالي والتكبر واصدير اليد للتقبل
 فان ذلك عمل اهل الطيش من الحكم بل كمال العالم من
 حيث هو عالم في التواضع واللين وخفض الجناح واحترام
 للضعفاء والفقراء والاقبال عليهم والبشاشة في وجوههم
 والأخذ بأيديهم في الاستكمال والتتري المطلوب لكل انسان
 بالذمومة

وبالجملة فإن مخالطة سائر الطبقات واجبة على العلماء ومخالطة كل طبقة منها شروط وآداب كثيرة لا بد من رعايتها والا اضرت المخالطة فتلا مخالطة الكبراء لا بد ان تكون مع العزة والمحافظة على الحيثية العلمية ولكن على شكل مقبول لا يؤدي الى الاستئثار ولا يبعد عن معنى اللطف والرفقة والتواضع والابتناس الخ الخ الخ والله الموفق للصواب

مجالس الوعظ

كان للوعظ العناية الكبرى والتأثير المهم في القرون الماضية لانه من اهم الامور التي يتوصل بها الى نفخ روح الحياة في الامة ولا ارى زمناً احوج الى الوعظ من زماننا هذا لفساد الاخلاق فيه وضعف الاحساس ولكن من الاسف اننا اهملنا هذا الواجب بل واحتقرناه حتى كأنه ليس مما يليق بالعلماء فلا نجد الآن احداً منهم يجلس للوعظ والتذكير في مسجد جامع ليعظ الناس ويرشدهم الى امر دينهم مع ان الناس في اشد الحاجة الى ذلك واشدهم احتياجاً للطلبة انفسهم. وهذا لو جلس

احد كبار علمائنا مجلس وعظ في الجامع الازهر ليعظ طلاب العلم على اختلاف طبقاتهم . على ان العلماء وان احتقروا الوعظ بسبب كبرهم العاقل فلا ابالي ان اقول انهم لا يجدونه وان اكثرهم لا يمكنه ان يؤدي هذه الوظيفة كما ينبغي خصوصاً والوعظ ينقسم الى اقسام شتى فوعظ طلاب العلم غير وعظ العوام ووعظهم غير وعظ المتنورين من تلامذة المدارس . فمن هذا ارى وجوب الاعتناء بهذا الموضوع المهم وان يتاهل العلماء للقيام بهذه الوظيفة السامية واقترح ان نعوض قراءة سورة الكهف في المساجد الجامعة بمجلس وعظ من احد افاضل العلماء لان هذا الوقت الذي يجتمع فيه الناس مع صفاء الفكر والانقطاع عن الشواغل الاخرى والمكث لانتظار الصلاة خير فرصة تقتنم للقيام بالوعظ . والتأثير على الناس وتنبيههم خصوصاً والخطبة اليوم اصبحت غير مؤثرة بل غير مفهومة وان كانت موضوعة في الاصل لاجل ان تفيد ما نريد ان تفيده مجالس الوعظ لنداركاً لهذا الخلل ومثل الخطبة في عدم التأثير قراءة القرآن

الخطبة

الخطبة من اجل الامور واهم الاسباب لتقويم العقول وتعديل

الاخلاق وانتهاج مناهج التقدم والفلاح وهي على الحقيقة خطاب ارشاد يكون بصوت عالٍ على مكان مرتفع (المنبر) لسمع جميع الناس فمن اللازم فيها قوة التأثير من الخفايا وفهم الناس لمقاله وكونه من اهل النفوذ والمكانة والاستقامة حتى تفيد وتكون لها ثمة وتطابق اصل الوضع

ولكن مما يوقع في الاسف ان الخطبة خرجت عندنا عن هذا المعنى المقصود الي ان صارت من الامور التعبدية والرسوم الدينية التي لا يقصد من الاتيان بها الا توفية المطلوب بحسب الصورة فلم يكن هناك تعويل الا على الاتيان بها محاكاة لما كان في صدر الاسلام . كلام بليغ مسجع غريب المفردات لا يفهمه الخطيب فضلاً عن غيره . بل كأن أكثر الخطباء لا يظن ان الخطبة خطاب (وان كان فيها ايها الناس) لذلك هم يلقونها القاء التلاوة بنغم وترنم خاص كأنها الآية التي تقرأ عقب الفاتحة في الصلاة وهذا لعمرى خروج عن الوضع وابتعاد عن المقصد الذي وضعت من اجله الخطبة من وعظ الناس وارشادهم وتعليمهم بطرق مؤثرة فان ذلك يقضي ان تكون الخطبة بالاسلوب والالفاظ المفهومة

وهذا الأسلوب المستعمل الآن كان ينهم وبوثر في العصور السابقة حيث رواج العربية الفصحى ببلاغتها العالية ولكنه الآن غير مؤثر ولا مفهوم عند أكثر الناس فمن العبث شدة التمسك به ومن السفه ان يخاطب اقوام بما لا يفهمون

الخطبة كانت في سالف العصور من الامور الرفيعة والوظائف العالية التي لا يقوم بها الا الخلفاء ونوابهم وهي الآن يقوم بها كثير من جهلة الناس واهل الاخلاق السيئة منهم وهذا نقص عظيم فان الخطبة من العظماء توجد التأثير المطلوب بخلافها من غيرهم

الخطبة هي الدرس العام الاسبوعي الذي تتلقى فيه الامة جوامع الكلم المعدلة للعقول والمصلحة للنفوس والهادية الى الصراط المستقيم والمبينة للحسن والقبيح من الاشياء والصحيح والفاسد من الاخلاق وهي التي تستنهض الهمم للعمل بما فيه خير الدنيا والآخرة

الخطبة هي الامر العام الذي اليه المرجع في الشؤون الاسلامية التي تنفع الامة وتزقيها وتبلغها اوج الكمال

ولا شك انها بهذا وذاك لا ينبغي ان تقتصر على ضرب معين ولا على موضوع خاص بل يجب ان تكون على وفق ما يقتضيه حال السامعين وما هم في حاجة اليه وذلك يختلف باختلاف الناس والازمنة والامكنة والاحوال فان انواع التقصير مختلفة وضروب المنافع متفاوتة وقد يوجد من كل عند اقوام ما لا يكون عند آخرين

ولكن الخطباء اليوم قصرها على مواضع خاصة نحن في اشد الحاجة الى غيرها بل قد لا تفيدنا اصلاً . فمثلاً يجعلون خطب المحرم في وعظ الحجاج فتراهم يخاطبون الحجاج وقد لا يكون من البلد حاج اصلاً بل قد يتوسعون ويذكرون المعاني السخيفة فقد سمعت خطيباً يخطب في جامع كبير مشهور وجلّ خطبته يدور على ان شين شعبان شين الشكر وعينه عين العناية وباءه بأابر الى غير ذلك من الامور التي تشمئز منها النفوس هذا فضلاً عن ان الخطيب قد لا يفهم ما يقول وقد يقع بين يديه في كل جمعة من المنكرات ما لا يجوز عنه الاغضاء ويجب ان يكون من اول ما ينبه عليه في الخطبة

وذلك بلا شك اعظم برهان على جمود الامة ونقصها
 وانحطاطها . وای برهان يكون على هذا اعظم من التمسك بالقشور
 ونبد اللب وترك الامور والمعاني الحية والخطب المؤثرة المنهضة
 والمكوف على صور تحاكيها في بعض الهيئة والوضع وتخالفها في
 الموضوع والفائدة والتأثير

وأسفاه . اين هم ثم اين هم اولئك الخطباء الذين كانوا
 اذا صعدوا المنبر خطبوا عن البديهة ما يجعل الرجال تجود بارواحهم
 واموالهم حتى ان الكلمة الواحدة منهم كانت تفعل ما لا تفعله القناطير
 المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة وينال بها ما لا ينال
 بالقهر والضرب بالسيوف

اين هم ثم اين هم اولئك الذين رقوا المدارك وارشدوا الى
 اوجه المصالح وكانوا كلما صعدوا المنبر صعدوا بامهم الى اوج المعالي
 وسما الكمال

تالله لقد ذهبوا وذهبت آثارهم وخلف من بعدهم خلف وضعوا
 وظائف الملوك في ايدي الصعاليك وسلموا زمام الخطبة الى من
 هم في اشد الحاجة الى المعارف البسيطة وضعوا تلك الفرصة

الثمينة والتشريع العالي الذي شرع لارشاد الامة وهدايتها للصراط
المستقيم واتخذوا الخطبة مأخذ الامور المتممة لاحتفال ركعتي الجمعة
مع انها من اهم المقصود بالذات * ما هذا الذهول عن اسرار التشريع
والخروج عن مقاصد الشريعة

اني لاكاد ان اقف خطيباً يوم الجمعة على المنبر في مسجد
جامع اخطب باللغة القريه من العامية حتى يستنبت مشوقاً
مرغباً مخوفاً مبيناً وجوه النقص وكيف يمكن تداركها معرضاً عن
الكلمات اللغوية والاستعارات المكنية والتخيلية والسجعات الرباعية
والخماسية ليعلم الناس كيف تكون الخطبة وليعلموا انها كالا انسان
تموت وتحبى وتسعد وتشقى وان كان اكثر الناس عن هذا
غافلين

الخطبة ياقوم لا يلزم بل لا ينبغي ان تكون محفوظه من قبل .
ولا ان تكون من باب الاستعارة والتمثيل . الخطبة ياقوم لا بد ان
تكون مصحوبة بحال عال وغيره شديدة وداعية كبرى من نفس
الخطيب فان كل كلمه عليها حلة من القلب الذي خرجت منه
الخطبة لا بد ان تكون في الموضوع المحتاج اليه وبالعبارة

المفهومه المؤثرة

الخطبه لا يلزم قصرها على يوم الجمعة بل ينبغي ان تكون
كما دعت الحاجه

فلهذا كله ارى ان من اشد الواجبات وجوباً اعتناء الادارة الدينية
بامر الخطبة والخطباء وبتعليم العلماء والطلاب وتدريبهم على هذا
الامر المهم العالي ولو بتعليم خاص وان يعطى امتياز لمن يمكنه ان يخطب
ارتجالاً بالعريه ثم ارتجالاً بغيرها وان تشي خطب كثيره بلهجه
مؤثره وعبارة مفهومه في المواضيع الكثيرة التي تحتاج اليها الامة
وان يكون منها ما يخص المدن وما يناسب الريف وان يعتنى بتشريف
الخطبة وتعيين الخطباء من افاضل المتخرجين شيئاً فشيئاً حتى يستدير
الزمان ويرجع الحال كما كان والله ولى التيسير

الباب الثامن

في طريق تنفيذ الاصلاح

ليس هناك اصعب على النفوس من الانتقال عن العادات
الموروثة . ولا اشق عليها في مبدئها من الخضوع للدستور والنظام .